



في ناموس الطبيعة ليس هناك خيارات لضمان البقاء.. إما أن يقبل الكائن الحي بالتطور والتكيف مع قوانين وقواعد فضولها، وإما المال إلى النهاية بالتدمير الذاتي.. فكل فصل طبيعي خصوصياته البيولوجية والمعنوية التي تتفاعل بحسب قانون التكين.. النشوء.. والارتفاع ثم النهاية الطبيعية المحتومة التي تعني بشكل من الأشكال انتقال الكائن إلى حياة أخرى متعددة، مليئة بالحيوية.. مشبعة بالنشاط والتطور.

ومما لا شك فيه ليس هناك كائن يدب على هذا الكوكب الأزرق.. كائن حي وعاقل لا يقبل تلقائياً إن لم نقل فطرياً بشروط هذه الحياة في تطورها وارتقاءها.. وهذا أيضاً هو حال الدول والأمم والحضارات... تنطلق من برعم فكرة – (فلسفة، أو عقيدة، أو مذهب) –، أو قد تنطلق من حدث – (حرب أو ثورة) –، ثم تشكل واكتمال، وأخيراً أفالو لكي يشرق من جديد فجر آخر بدبل.. بطقس جديد.. ب الرجال جدد.. بمؤسسات جديدة.. وبفلسفه تدبير جديدة للحياة أيضاً...

ما ينهرق وينسفك من دماء في الشوارع العربية ويسلح الحكام العرب يجعلنا نجزم كما لو أن هؤلاء الطواغيت قد بوؤا قسراً على أرائك حكمهم بدعم من جهات غير عربية بقصد تركيع الشعوب ولجم أصواتها وقص أجنحتها لحرمانها من التحليق في سماوات الحرية، وللحاكم العربي في أشكال هذا القمع كل العبرية على ابتداع المبررات في النزول إلى الشارع بمدرعاته ومدفعيته وفياليقه.. فإن لم يكن خطر القاعدة فهناك خطر العدو الخارجي المفترض، وإن لم يكن هذا وذاك تكون الممانعة والاصطفاف الكرکوزي في ما يسمى بجبهة الصمود العربية، ظاهرها التصدي للعدو الصهيوني، وباطنها المستتر تكريس وضع استاتيكي سياسي يخدم مصالح خارجية أكثر منها ذريعة لحماية الأمن الداخلي من الخطر الخارجي..

هكذا رأينا كيف أن الديكتاتور القذافي صنع من المد الإمبريالي غولاً لتخويف شعبه، تخويفاً أمن له البقاء في حكمه المستبد لأزيد من أربعة عقود، وسمت بتورطه الواضح في خلق قلاقل وتوترات وانقلابات وتصدعات في الصف العربي خدمة للأخر، وليس دفاعاً عن الأبية العربية كما كان يدعي في خطبه وخرجاته السياسية المسورة... وكانت نهاية هذه المسرحية القذافية رفع ستارها على توأطئ مكشف لعل أقل مظاهره العلنية ضخه للمليارات من الدولارات من عرق الشعب الليبي في حساب القائد (البطل) وأبنائه في بنوك "أعدائه الإمبرياليين".

وها هو حاكم فرعوني يصنع من ذريعة التطرف الإسلامي ومن الإرهاب بعجاً يرعب به الغرب ويهدد به الاستقرار المصري

من أجل بقاءه في الحكم، كما عمد وذاك دينه إلى توظيف جميع الآليات والأحابيل الديكتاتورية الدينية لتزييف انتخابات مجلس الشعب وجعل صناديق الاقتراع خزائن في ملكه الخاص تذر عليه 99% من الأصوات، أي مزيداً من بقشيش الدولارات وتحويلها إلى حسابه أيضاً في المصاريف الأوروبية والأميركية... في الوقت الذي تصطف فيه طوابير الشعب المصري الغلبان من أجل كسرة خبز (عيش)، لكن الله يمهد ولا يهمل، وهاهي رياح الربيع العربي تعصف به لتعري فداحة وجسم الفساد في بطانة السيد الرئيس وأزلامه...

وهاهو الحاكم الصوري وليس السوري يختلق وصفة الممانعة ضد شعبه وليس ضد إسرائيل يكشف بما لا يدع مجالاً للشك أن هذه الممانعة ليست إلا فذلكرة دبلوماسية ومؤامرة ذكية على الشعب السوري الذي يحمل في جيناته الطبيعية وإرثه التاريخي وذاكرته الثقافية كل مقومات الإقلاع نحو التقدم والانعتاق من طقوس البيات السياسي الذي تطوقه به هذه الممانعة البغيضة... وهكذا نرى أنه في الوقت الذي تتجه اختيارات الإنسانية قاطبة إلى عصر التعديدية الديمقراطية ورحمة الاختلاف، نرى أن الطغمة الحاكمة في سوريا ما زالت تجتر ما تبقى من عيش بعثيتها الستالينية البائدة والتي لا يعني كل هذا العرض العصابي عليها بنواجد الديكتاتورية سوى الشجرة التي تخفي غابة التواطؤ..

ومن اليقين أن قطار الديمقراطية الذي يعبر حالياً قري، مدن وعواصم العالم العربي لا بد إن عاجلاً أم آجلاً أن يمر على دمشق عبر درعا وحمص وغيرهما سواء اعترض سكته جمرك الممانعة أو بأية ذريعة جديدة من قبيل المؤامرة الخارجية على وحدة سورية باعتبارها " الدرع العربي القوي في مواجهة الخطر الصهيوني" كما يتشدق بذلك حكامها.

وهذه الممانعة هي أشبه ما تكون ببورصة أسلحة يعتاش عليها النظام وأزلامه بدعم من النظام الموسكوفي.. هذا الأخير الذي لم يتخلص وبعد مرور زهاء ربع قرن على الكلاسنوست والبريسترويكا من عقلية التآمر على الشعوب العربية (الحليف) بتحريضها على الرفض والممانعة كآخر الاختيارات السياسية من أجل تكريس وضع الستاتيكو في منطقة إستراتيجية ملتهبة كان من الأولى أن تكون منطقة لتعايش الأديان والتسامح وتكريس القيم الكونية الديمقراطية... لكن مع الأسف هي منطقة كانت وما زالت ومنذ النكبة الفلسطينية المحرك الأساسي لمصانع الأسلحة في الشرق الأوسط، بمعنى الإصرار على أن يبقى قدرها الأزلي منطقة لصناعة الموت العربي بمختلف أشكاله وأسبابه.

إنه نفس السلاح السوري - عفواً الروسي - الذي ما زال يفتك بأرواح الأبرياء والذين بلغ عدد ضحاياهم إلى حدود هذه اللحظة 5000 قتيل من بينهم قرابة 400 طفل وهو رقم رغم فداحته الإنسانية لم يحرك مع الأسف بالبالغ ولو كرسياً واحداً في مجلس منظمة حماية الطفولة العالمية (اليونيسيف).

لقد عرى الربيع العربي عن خريف السياسة الكامن في ثنايا عقليات بعض الحكام العرب والتي تقوم على منطق إطلاقي لا يختلف عن عناوين بعض المسلسلات المكسيكية مثل (المستبد) و(أنا أول أحد)، و(السجين) و(الخيانة)..إلخ من يصدق اليوم تصريحات الرئيس السوري وجرأته البلقاء في عدم مسؤوليته الواضحة على كل رصاصة تطلق على صدر المواطن السوري الذي لا يطالب أكثر من فتح كوة أوكسجين في سور الممانعة الحديدي ليشتم هواء التعديدية الحزبية والإعلامية والبرلمانية والحقوقية...

وأخيراً: دعوني أسرد عليكم هذه القصة الواقعية من زمن القمع السوري، فقد حكى لي أحد الكتاب المغاربة أنه وخلال فعاليات إحدى الملتقيات الثقافية في المغرب استضاف في غرفته بالفندق أحد الكتاب السوريين.. وبعد تطور ودفع علاقة الصداقة بينهما خلال تلك المدة القصيرة من الملتقى، طلب هذا الكاتب المغربي من شقيقه السوري أن يتحدث له عن المشهد السياسي والحقوقي في سوريا.. فبدت على محيا هذا الأخير علامات التردد والتوجس، ثم في لحظة قام صديقي وأغلق باب الغرفة بالمزلاج إلى آخر لفقة.. ورغم ذلك لم يسلم صاحبنا من أحمرار التردد والتوجس.. ثم قام وجال ببصره في كل أركان الغرفة وتفحصها زاوية زاوية إلى أن تأكد بأن المكان آمن وأن ليس به لا كاميرا ولا ميكروفون مدسوس يترقب

به.. ولا عين جاسوس تتلخص عليهما من فتحة ما.. وبالرغم من كل شروط الأمان والثقة الزائدة التي وفرها صديقي الكاتب فإن صاحبنا المثقف السوري الغلبان لم يجرؤ على أن ينسى ولو بكلمة واحدة في حق النظام في سوريا ثم فجأة قام وانصرف.

ألهذه الدرجة أيها السادة يسكن رقيب الممانعة في تلaffيف سيكولوجية بعض المثقفين السوريين، فما بالكم بالمواطن العادي الذي لا يطمح سوى لحياة كريمة؛ لهذا أقصى ما استطاع الحكام في سوريا أن يحققوا.. مواطن لا يفتح فمه إلا عند التناوب.

المصدر: موقع أخبار الثورة السورية.

المصادر: